ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Fayyadh Ahmed Z'ayan Hayal

University of samarra college of literature

Dr. mohammed khaleel Ibrahim

Ministry of Education Open Educational College

Email: Dr.fayyadhahmed20@gmail.com

Keywords:

Castile , Kingdom of León , kingdoms, medieval

Article info

Article history:

Received 27.July.2022

Accepted 30.Aug.2022

Published 1.Nove.2022

Castile Kingdom and Its Plans

A B S T R A C T

The study of cities is one of the important and difficult studies, and no study completes in this respect unless we go back to its cultural heritage. The study of cities attracted a great deal of interest in the past short periods, and Castile Kingdom which study came under the title "Castile Kingdom and Its Plans" is one of these cities which evolved in the areas and regions opponent to the Arab Muslims in Middle Ages. The difficulty of studying it is that all geographical and historical references and sources neglected a lot of details about it. The research included an introduction and eleven axes in which we addressed: its name, location, geographic divisions and its branches, the ruling system, language and religion, rivers, bridges, agriculture and climate, palace, worshipping houses, castles and forts and walls, baths, and the study ended with a conclusion including the most important results and a list of endnotes and references.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol49.Iss1.3230

مملكة قشتالة وخططها

ا.م.د فياض احمد زعيان م.د. محمد خليل ابراهيم
كلية الآداب / جامعة سامراء وزارة التربية / الكلية التربوية المفتوحة

الملخص

تعد دراسة المدن من الدراسات المهمة والصعبة، ولا تكتمل اي دراسة بهذا الخصوص الا عند الرجوع الى الارث الحضاري لها، وقد حظيت دراسة المدن باهتمام لا باس به في الفترات القصيرة الماضية، ومملكة قشتالة التي جاءت دراستها بعنوان" مملكة قشتالة وخططها "هي احدى هذه المدن التي نشأت في المناطق و الاقاليم الند مع العرب المسلمين في القرون الوسطى، وتكمن الصعوبة في دراستها ان المصادر الجغرافية والتاريخية على حد سواء قد اغفلت الكثير من التفاصيل عنها.

وقد تضمن البحث مقدمة واحد عشر محوراً تناولنا فيها: التسمية والموقع وتقسيماتها الجغرافية وتوابعها، نظام الحكم، اللغة والديانة ، الانهار والقناطر "الجسور"، الزراعة والمناخ ، القصر، دور العبادة ، القلاع والحصون والاسوار، الحمامات، وتضمنت الدراسة خاتمة احتوت على أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية : قشتالة ، مملكة ليون ، الممالك ، القرون الوسطى

المقدمة

ان دراسة المدن من الدراسات الاكاديمية الصعبة، ولا سيما المدن(الممالك) التي انشأت في الاقاليم او المناطق الند لمدن او دول العرب المسلمين في فترة القرون الوسطى، فالمصادر الجغرافية والتاريخية اغفلت عنها الكثير من التفاصيل، ومن كتبوا عنها فكان شيئا بسيطا لا يرتقي الى مستوى المعلومات المدونه عن المدن العربية الاسلامية، وما دونه الجغرافيون والرحالة والبلدانيون في ذلك الوقت كان بصورة بسيطة لا تفي لدراسة تلك المدينة وتوابعها دون الدخول بتفاصيلها السياسية والحربية .

لابد لنا عند دراسة مملكة قشتالة معرفة الاتي عنها: موقعها وموقع توابعها، حدودها، المدن التابعة لها، الحصون، الاسوار هذا من جانب، ومن جانب آخر لابد من معرفة المياه ومصادرها والزراعة وباقي جوانب النشاط الاقتصادي، والمناخ وملائمته، مع جوانب اخرى لم نجد لها ذكرا، وما وجدنا عن المدينة كان اشارات بسيطة متناثرة في بطون بعض الكتب، لربما ان سبب ذلك ان التدوين في اوربا في العصور الوسطى لم يكن بالمستوى المطلوب فضلا عن التراجع الحضاري والجمود الفكري، وان الحركة العلمية عند الاوربيين جاءت متأخرة، وتذكر المصادر بانهم كانوا عالة على العرب المسلمين، فلم تنشط لديهم الحركة الفكرية الا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، بعد سيطرة القشتاليون على مدينة طليطلة عام 478هـ/1085م التي استفادوا منها كثيرا، فتضاعف ثراؤها وقوتها.

وكما بينا في البحث ان قشتالة نواتها الاولى من المدن الحربية، ولان اسمها مشتق من القلاع فأن التحصين كان بالنسبة لها اهم عامل للامن، ولذا فالامن عامل اساسي للمحافظة على البنيان وحفظ الخيرات وضمان استمرار المدينة وبقائها، ولذا فمن الضروري توافر وسائل الامن وهي الاسوار والقلاع فضلاً عن توافر عوامل ديمومة المدينة الاخرى وهي البيئة الملائمة والاقتصاد.

من هنا جاءت اهمية البحث والذي بعنوان (مملكة قشتالة وخططها)، وسبب اختيار الموضوع هو لأظهار الاثر الحضاري والعمراني العميق للمدينة، وابراز العوامل المهمة في الحفاظ على المدن وتطورها، والكشف عن الظروف العصيبة التي نشأت من رحمها الممالك في شمال اسبانيا لا سيما مملكة قشتالة.

وقد تضمن البحث مقدمة بينتُ فيها اهمية الموضوع وسبب اختياره، وعدد من الفقرات قسمت على النحو التالي: التسمية، موقعها وتقسيماتها الجغرافية وتوابعها، نظام الحكم، اللغة والديانة، الانهار والقناطر(الجسور)، الزراعة والمناخ، القصر، دور العبادة ودورها التعبدي والعلمي، القلاع والحصون والاسوار، الحمامات، وتضمنت الدراسة خاتمة احتوت على اهم النتائج.

اما المنهج المستخدم في هذه الدراسة فهو منهج البحث التاريخي (الوصفي– التحليلي) وصف الاحداث التأريخية وتحليلها، اذ اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع تأريخية وجغرافية متنوعة اثرت البحث بمادة علمية استطاع الباحثين توظيفها في دراستهما، الا ان هكذا عمل لا يخلو من بعض الصعوبات ولا سيما ان جل المصادر المعتمدة هي مصادر لاتينية اسبانية، فمنتهى الصعوبة كانت في ترجمتها الى العربية كون الباحثان لا يجيدان اللغة الاسبانية، فاضطرا الى الاستعانة بذوي الاختصاص وكان للاستاذ محمد داخل التدريسي في كلية اللغات/ جامعة بغداد/ قسم اللغة الاسبانية/ جهوداً مميزة في تذليل قدر كبير من صعوبة الترجمة، فله الشكر والعرفان والامتنان.

ان هذه الدراسة البسيطة عن مملكة قشتالة، تلك المملكة التي نواتها صخرة في احدى المرتفعات الجبلية والتي عرفت بـ (صخرة بلاي) وبمرور الأيام اخذت تنمو وتكبر حتى ابتلعت الممالك الاسبانية المجاورة لها، وابتلعت دولة الاسلام في الاندلس، واخرجت العرب المسلمين من شبه الجزيرة الايبيرية لجديرة بالدراسة والاهتمام.

اولا: التسمية

قشتالة او كاستيا (castilla) او بردوليا معناها الحصون العديدة او الكثيرة، لذا فسميت قشتالة بها، فقد كانت تقوم في المنطقة حصون عرفت بالقلاع ، تلك القلاع اقامها ملوك ليون[1] واحاطوا بها مملكتهم لحمايتها من هجمات العرب المسلمين ، فنسبت قشتالة لها [2].

فكاستيا (Castella)المقاطعة معناها قشتالة، وكانت تخضع لحكم مملكة ليون، والاسم له صلة بالمخيف من القلاع التي شيدت في المنطقة[3]، ويرى ديورانت[4] ان قشتالة عرفت بهذا الاسم نسبة الى قلعتها(كاستل castle).

ثانيا: موقع قشتالة وتقسيماتها الجغرافية

خضعت شبه الجزيرة الايبيرية لحكم الفاتحين من العرب المسلمين، ولم تبقى من البلاد خارج سيطرتهم الا منطقة بسيطة لم يعيروا لها اهمية كانت النواة التي منها ولدت الامارات او الممالك الاسبانية، التي استطاعت فيما بعد طرد العرب المسلمين من اراضي اسبانيا، هذه البؤرة كانت في المنطقة الشمالية والتي قامت فيها امارات مسيحية قارعت العرب المسلمين وهزمتهم وهي:

قشتالة، نافار، ارغون، جليقية، ليون، قطلونية التي اهم مدنها برسلونه (Barcelona) اي برشلونه[5].

ان مملكة قشتالة كانت في هضبة شكلت المركز والقلب في شبه الجزيرة الايبيرية ومساحتها شكلت مساحة شاسعة من البلاد لربما بلغت الثلثين من الجزيرة، وهي هضبة جافة اصبحت مملكة مسيحية في القرن التاسع الميلادي، قال عنها ياقوت الحموي: "إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الأفرنج"[6].

فقشتالة تقع في الركن الشمالي الغربي في اقليم يعرف بـ " اقليم اشتوريش Asturias " او ما يعرف "بغاليسيا Galicia"، ولم يفرض المسلمون سلطانهم على هذا الاقليم تماماً لوعورة المسالك وبرودة المناخ فأهملوا الاقليم، وكان قد تحصن به احد ملوكهم الذي عرف بـ "بلاي" وكان قائدا محنكاً استطاع التحصن بكهف، عندما اعتصم باحد الجبال في المنطقة الشمالية، والتي كانت منطقة قمم جبلية شامخة، والتي يسميها الاسبان بقمم اوربا، الغربية منها تسمى "اونجا Onga" وبها مغارة عرفت بـ" كهف اونجا" او" كوفا دونجا Covadonga" وبالاسباني "cu cvadoonga"[7] والتي سماها العرب بـ "صخرة بلاي Pena de pelayo" (ت:737م) عندما اختبأ بها مع اصحابه الثلاثمائة الذي مات اكثرهم جوعا، ولم يبقَ منهم الا ثلاثين رجلاً وعشرة نسوة تقريبا، وما لهم عيش الا من عسل النحل الموجودة خلاياه في خروق الصخرة، وبقوا ممتنعين في هذه الصخرة الى ان اعيا المسلمين امرهم، فأحتقروهم واستخفوا بشأنهم واهملوا امرهم[8].

من تلك الصخرة كانت النواة لتأسيس ممالك مستقلة، فالأقسام المشتتة كونت امارات مستقلة وكانت قشتالة احدى اقسامها، بالرغم من ان العرب غلبوها جميعها الا صخرة بلاي، هؤلاء المجموعة بعد رجوع العرب عنهم خرجوا وما زالت الجماعة تنمو وتكبر حتى صارت امارة حقيقية ثم مملكة يحسب لها حسابها، وبعدها ظهرت" سلطة قشتالة" التي تعد اول حكومة استقلت عن مملكة ليون اول الممالك التي ظهرت في ايبيريا مع دول الأندلس الأسلامية، بعدها اخذ العرب بالتراجع نحو الجنوب، وبمرور الزمن اخذت قشتالة وليون تسترد الاراضي شيئاً فشيئاً، وظهرت لدينا قشتالة القديمة وقشتالة الجديدة كل ذلك بفضل التوسع على حساب المسلمين[9].

تمتد اراضي قشتالة القديمة من جبال قنتبريه في الشمال والتي يرويها الوادي الجوفي "دورو Douro" ووادي ابرة ووادي بسيورقة وهي ست مقاطعات: برغش، ابلة، سقوبية او"شقوبية"، شورية"سوريا"، لوكروني، شنت اردم" اندر"[10].

اما قشتالة الجديدة فهي الى الشمال في قلب اسبانيا تتوسطها شارات وادي الرمل، وتقع على منطقة مرتفعة فوق سطح البحر لاكثر من 2 كم، وشارات مورينا الى الجنوب الغربي وفيها ممر وادي تاجة Tago ووادي شقر Yugar ومنزانارس Manzanares ووادي يانة Guadiana وهي تشمل مقاطعات مجريط وطليطلة وسيوداد ريال التي تعني "البلدة الملكية وهي مدينة محدثة بعد مجيء العرب"، وفونكه ووادي الحجارة[11].

اما عن الموقع لمملكة قشتالة فهي تقع ما بين مناطق جبال اشتوريش وبسقاية من الشمال، وارغون وبلنسيه من الشرق، ومرسيه والاندلس من الجنوب، والاسترمادور وليون من الغرب[12].

فضلا عن ذلك فأن مملكة قشتالة منطقة تأريخية واثارية في الكثير من ملامحها، فمن مجرد قلعة استقلت عن ليون اول معاقلها توسعت بمرور الايام، فمرويات زروعها، وحاجات اهلها من ماء الشرب كانت من نهر "دورو Douro " او "دويره" وتوابعه، وعاصمة المملكة مدينة برغس[13]"برغش"، والمساحة الكلية للمملكة بعد اتحادها مع ليون بلغت 92,223 كم^2 وبذلك كونت اكبر مساحة من ارض الجزيرة الأيبيرية[14].

ثالثاً- توابع المدينة

كانت تتبع لمملكة قشتالة الكثير من المدن والاراضي وتلك المدن الكثيرة لها اهميتها بما حوته من خيرات واحتضنت في جنباتها من سكان وهي:

1- شقوبية: هذه ليست مدينة وانما هي قرى كثيرة متجاورة مع تقارب وتداخل في البناء والعمارات يقطنها بشر كثير يخضعون جميعهم لسلطان ملك طليطلة، وكانوا اناسٍ ذو قوة وبأس مشهودٌ لهم بالحروب والصبر عليها[15].

وتعد شقوبية من مدن اسبانيا العريقة ولا تبعد عن العاصمة مدريد سوى(80كم)، وتقع في المنطقة الشمالية وتمتاز بالهدوء والجمال، وفيها ميدان كبير وتحيطها اسوار وهذه الاسوار محاذية للقنطرة الرومانية مع وجود مركز عباده تمثله كاتدرائية ضخمة وقلعة جميلة يعتقد انها صرح اسلامي يعرف بالقصر، ويقع القصر(القلعة) على منحدر صخري وهو من الاثار الاندلسية الجميلة، فيه قاعة تعرف بقاعة العرش، وهناك قطعة عليها نقش يبين تاريخ انشاء القصر(القلعة) يعود الى سنة 349هـ/962م، وهذه المنطقة تجمع ما بين الطبيعة الخلابة والهواء النقي المحاطة بالجبال التي تتساقط عليها الثلوج، وحول المدينة سور قمة في الروعة والجمال[16].

2- بلد الوليد: مدينة جميلة وهادئة حكمها المسلمون لمدة قرنين، واتخذها ملوك قشتالة وليون مقرا لهم، ولا يعرف سبب تسميتها، وفي المدينة حدائق جميلة، وفيها مركز عبادة (كاتدرائية)، روعة في الجمال، وفي المدينة عقد زواج ملكي اسبانيا فرديناند وايزابيلا وتوجا ذلك بوحدة بلادهما ضد المسلمين، ويتبع لبلد الوليد بلدات منها شنت منكش، والحصن الذي فيها بناه المسلمون وعرف بحصن شنت منكش.

3- آبله(آبلا): كانت اولى المدن التي استردها النصارى من المسلمين، وهي مدينة محاطة بسور من اجمل الاسوار الرومانية الذي رممه المسلمون وزادوا فيه بعض الاضافات، وفي آبلة قصر عبارة عن حصن قديم[17].

4- برغش(برعس): مدينة قريبة من مدينة ليون، وهي من بلاد الروم (الاسبان)، والمدينة كبيرة يفصلها نهر الى جزءين، والجزءين يحيط بهما سور، والمدينة حصينة ومنيعة، ولها رساتيق واقاليم معمورة، واغلب سكانها من اليهود [18]، وبرغش انشأها ملك قشتالة الفونسو الثالث سنة 910م، واحاطها بسور منيع كي يمنع هجمات المسلمين على المدينة، والنهر الذي يشق المدينة نصفين حوله مناظر جميلة، وكنيسة من اعظم كنائس اسبانيا، ويوجد دير يدفن فيه ملوك قشتالة [19].

5- سلامنكا(سلمنكه او شلمنقة):

تتبع سلمنكا لمملكة قشتالة وتتبع لها مدينة سمورة وهي احد القلاع او المدن الجليلة واحد قواعد الاسبان تقع على نهر دويرة، لها سبعة اسوار، وبين الاسوار خنادق ومياه واسعة، وفي سلمنكا حصن ولأهلها اموال كثيرة [20]، ان نهر النورميس من الانهار الجميلة ويقطع المدينة التي بها اماكن اثرية وتاريخية، وفي المدينة قصر ومركز عبادة (كاتدرائية) مع وجود كنائس اخرى اقل اهمية من الكاتدرائية[21].

6- ليون: قاعدة مدن قشتالة[22]، كانت بيد المسلمين واستردها منهم الاسبان، لها مكانة كبيرة في تاريخ الاندلس، تقع على فرع من نهر الدويرة، والمدينة كبيرة وضخمة ولها اهمية كبيرة عند النصارى لانها احد اهم معاقلهم، فيها كنائس كثيرة، وفي المدينة يوجد قصر السلطان(المركز) قبل ظهور قشتالة وتداخل املاكها مما دفع قشتالة للسيطرة عليها بأتحاد المملكتين وبسط النفوذ القشتالي[23].

7- سمورة: المدينة دار مملكة الجلالقة تقع على ضفة نهر كبير وعميق بين المدينة والبحر، تعد المدينة من قواعد الروم محاطة بسبعة ابواب من عجائب البناء المحكم، وما بين الاسوار كانت توجد فصيلان وخندق تجري فيها المياه،، وكانت سمورة من مدن الثغور الاسلامية، والمدينة محاطة بمناطق ريفية جميلة[24].

وقد وردت في كتب التاريخ اشارات عن مدن وقرى ليست ذات شأن كبير كالتي ذكرنا سابقا، ولكن لها اهمية تاريخية لوقوع حدث تأريخي فيها، وكانت عبارة عن مدن عسكرية في الاعم الاغلب وهي:

– حصن الحامه: من حصون مقاطعة شلمنقة ومن املاك ادمير "راميرو الثاني" ملك اشتوريش وليون، وكان الملك واتباعه يسكن في هذا الحصن، وخرج المنصور الحاجب لمهاجمة هذا الحصن واخذه من ادمير، عندما خرج من قرطبة وسار نحو الشمال الشرقي وعبر نهر الوادي الكبير ثم دخل وادي التاج، وعبر باتجاه الثغر الجوفي الى جليقية، فضايق الحصن ودخل ربضه[25] .

– مدينة روطة: تقع المدينة على مجرى نهر الدويرة، وتبعد 25كم الى الجنوب الغربي من مدينة شنت منكش، وكان انذاك ملوك الممالك الاسبانية ردمير ملك ليون وغرسيه ملك قشتاله وسانشو اباركا ملك نافار تحالفا ضد المنصور الحاجب، فسار اليهم والتقاهم في روطه وهزمهم.

– شنت "اشتيبن دي غورماز" او اشتاني في مقاطعة شوريا، والبه وحصن وخشه: كانت من المدن الاسبانية، خرج اليها المنصور الحاجب وقهر غرسيه بن فردلند "Carci Fernalnde "، واخذها منه [26].

رابعاً– نظام الحكم:

بعد سيطرة العرب المسلمين على الجزيرة وخضوعها لحكمهم لم يلاقيهم صعوبة واعتراض الا ما قام به بلاي الذي توسعت حركته ولا سيما في عهد حفيده الفونسو الاول الذي مد نفوذه الى مدينة ليون واقام فيها مملكته على ضفاف نهر دويرة على الحدود الجنوبية الغربية المتاخمة مع اراضي المسلمين وكانت قلاع وحصون، وممالك الاسبان جميعها نشأت في مناطق الجبال ولم يستطع حكامها من التوسع بأتجاه الجنوب خوفا من المسلمين، وكذلك حتى يضمنوا القوة المادية والروحية التي تمدهم بها فرنسا والبابوية[27].

وكان عصر الكونت فرنان كونثالث (Fernan Gonzalez) التأسيس الحقيقي لنظام الحكم، والاستقلال الذي نعمت به قشتالة، فالكونت كان محارباً شرساً خاض معارك كثيرة مع ملك ليون، وبالرغم من انه اسر لكنه لم يستكين وسارع اصحابه الى نجدته من سكان القلاع وبقوا مخلصين لأميرهم الاسير حتى اضطر راميرو من اطلاق سراحه، فعمل كونثالث على توطيد حكمه ووحد قشتالة واستقل عن ليون، واقام كونثالث نظاماً ملكياً وراثياً ووسع رقعة مملكته على حساب المسلمين والامارات الاسبانية الاخرى المجاورة له[28]، وكان استقلال قشتالة سنة 961م، واشهر ملوكها كان الفونسو السادس[29] الذي اخذ طليطلة من المسلمين[30]، هذه الهمة التي تمتع بها الفونسو السادس لم تأتي من فراغ بل كانت جهود بدأها الفونسو الاول بما يعرف بحرب الاسترداد وكانت ثمارها سيطرة قشتالة على طليطلة سنة 478هـ /1085 م [31].

خامساً: اللغة والديانة

تكلم القشتاليون اللغة الاسبانية، والتي عدت اللغة الرسمية للبلاد، اذ انها في الاصل هي لغة قشتالة اي اللغة الوطنية للقشتاليين، والتي يعتقد انها نشأت في (كورد بيرا) شمال اسبانيا في حدود القرنين الميلاديين الثامن والتاسع، وكلمة" castellano" كاستيانوا في الاسبانية تستخدم للأشارة الى اللغة الاسبانية، ومع اللغة القشتالية تكلم اهل البلاد اللغات الجليقية نسبة الى الجلالقة احد اهم مكونات المجتمع، وكذلك تكلموا اللغة الباسكية[32] نسبة الى شعب واقليم الباسك، فضلا عن ذلك فقد تكلم القشتاليون اللغة الاستورية. اما عن ديانة اهل قشتالة فكانت النصرانية هي الديانة الرسمية للبلاد، وعلى المذهب الكاثوليكي مع وجود ديانات اخرى لكنها اقليات كالأسلام وتواجد لجالية من اليهود؛ هذه الاديان الثلاثة كانت معتقدات اهالي قشتالة، ولكن الدين الرسمي للمملكة كان النصرانية[33] .

وكان للنصرانية قوة ذاتية في البلاد لأمور منها: ان الحروب التي خاضها أهالي قشتالة ضد المسلمين كانت حرب دينية، والامر الثاني ان الجيوش التي دخلت طليطلة وانتزعتها من المسلمين كان فيها جند فرنسيين يقودهم رهبان دير

كلوني Cluny من جنوب فرنسا ، والذين ما ان دخلوا قشتالة حتى اصبحوا يسيطروا على الكثير من الأديرة في البلاد مما اعطى القشتاليين دعما معنويا وبمشاركة من البابا، فرهبان دير كلوني Cluny كانوا غلاة ومتعصبين للكاثوليكية[34]، ومما يدلل على وجود المسلمين في طليطلة ان احدى زوجات الفونسو كانت مسلمة تعرف بأسم "زائدة" وهي بنت المعتمد بن عباد اثناء تحالف الأخير معه، والتي اثرت على سياسة زوجها اتجاه المسلمين، على الرغم من تنصرها وتسميتها بأسم ايزابيلا، فجعلته يعاملهم معاملة حسنة[35]، لكن عنان[36] يرفض زواج الفونسو بأمرأة عربية.

سادساً: الانهار والقناطر

ان الطبيعة الجغرافية التي تميزت بها الجزيرة الايبيرية وكثرة الانهار والجداول كانت عامل تجمع سكاني واستقرار زراعي، ففي مملكة قشتالة كانت العديد من الانهار الكبيرة والصغيرة والتي منها نهر سياود ونهر اداخا ونهر ابره ونهر نيرفيون ونهر دويرو ونهر اريسما ونهر بيويغر ونهر السا ونهر تورميس، واعظم الانهار واطولها واللذان كان لهما فروع تشق المدن والمناطق القشتالية وهما النهران الرئيسان نهر التاجه الذي يبلغ طوله(1008كم) ونهر دويرو الذي يبلغ طوله(897كم)[37].

ان وجود الانهار مع اتساع الرقعة الجغرافية اعطيا لقشتالة تنوع في المناظر الجغرافية من مناظر طبيعية وجميلة مع الكثير من الواحات المائية والجسور والسدود التي ترتكز عليها تلك الانهار، ووجود سواحل لها جمالية وقيمة طبيعية لمناظر خلابة[38].

كانت الطبيعة الجغرافية للمنطقة تتصف بانها مناطق جبال وهضاب مما جعل الانهار فيها تنحدر نحو السهول والاراضي المنخفضة، ويعد نهر التاجه الواقع في الشمال والذي يسميه الاسبان نهر التاخه، يمر في منطقة الهضبة في وسطها وتقع على هذا النهر مدينة طليطلة تلك المدينة العظيمة، ومن الانهار الاخرى في قشتالة نهر دويرو او دورو Douro الذي سماه العرب بالوادي الجوفي ويطلق عليه الاسبان دورو Douro ينحدر هذا النهر من الشمال الى الغرب حتى ينتهي مصبه بالمحيط الاطلسي، ومن الانهار الاخرى التي تسقي اراضي الشرق والشمال الشرقي نهر ابره Ebro حيث يروي اقليما عظيما، وتقع على احد ضفافه مدينة سرقسطه[39]، ومع هذه الانهار لابد من توافر قرى زراعية على ضفاف تلك الانهار مع وجود انهار صغيرة وعيون وابار فالطبيعة الجغرافية تساعد على هكذا امور.

هذه الانهار الكثيرة والتي لابد ان قامت على جانبيها قرى ومدن لابد من وجود جسور وقناطر لعبور الناس عليها، ففي مدينة شقوبية Segovia كانت هناك قنطرة رومانية كبيرة لربما يعود تاريخها الى القرن الاول الميلادي[40].

ومن المؤسف حقا ان المصادر لم تزودنا بذكر قناطر اخرى في اي مدينة من مدن قشتالة الاخرى، ولكننا نعتقد انه كان للاسبان اهتمام بأنشاء القناطر والسدود وكذلك الجسور، كما اهتم امراء الاندلس بتأسيس تلك الصروح العمرانية، فبالرغم من ان قنطرة قرطبة كانت صرح روماني نجد ان العرب المسلمين اهتموا بها لانها تربط المدينة بربضها شقنده، وان القنطرة كانت من بناء الامبراطور اغسطس، وهذا المعلم العمراني استمر لضرورته في عهد ملوك الاسبان، ولا سيما في عهد الملكين الكاثوليكيين، فضلا عن ذلك فقد كانت في مدينة طليطلة قنطرة تربط ما بين المدينة والربض التي يفصلها نهر التاجه، وعمارتها انها قوس واحد تكتنفه فرجتان من كل جانب طولها ثلاثمائة باع وعرضها ثمانون باع، لكن هذه القنطرة خربها القشتاليون فيما بعد، وعادوا ورمموها في سنة 1259م، اما الجسور فأنهم شيدوها على التقليد الروماني لحمل المياه من المناطق الجبلية الى القرى والمدن التي في السهول[41]، ولذا فأن الاثر والتاثر في المعالم الحضارية بقيت امتدادا لعصور خلت قبل دخول المسلمين الى شبه الجزيرة الايبيرية وهي من اهم معالم المدن والممالك الاسبانية التي جاءت بعد العرب المسلمين.

سابعاً: الزراعة

ان الانهار الكثيرة والعيون والابار والينابيع كل هذه من المقومات الاساسية والمهمة لنشوء المدن والقرى، ولأستمرار وجودها لابد من القوت الذي مصدره الزراعة وكذلك المياه اساسها، ومن موارد الزراعة الأخرى ومقوماتها وجود الامطار، فالأراضي الأيبيرية منها الهضبة الوسطى اساس الزراعة فيما يعتمد على الامطار، فوجدت في المنطقة حقول خصبة وحدائق غناء بفضل وجود مناخ ملائم لكل ذلك، تتساقط الثلوج في الشتاء مع برد شديد وعواصف كثيرة، ولربما في الصيف حر متوهج[42].

ان التقلبات المناخية لها اثرها، فالزراعة تتأثر بالمناخ، وقشتالة مناخها لا يختلف عن مناخ البحر الابيض المتوسط، فالمناخ يحتفظ بخصائصه القارية لكنه يتشابه مع باقي المناطق المحيطة به، والامطار تتساقط بكميات كافية في الأراضي المنخفظة، والحواجز الجبلية تحيط بمعظم اراضي قشتالة، فجبال سانتزر لها اثرها في تخفيف حدة الرياح البحرية مما يؤدي الى سقوط الامطار على الأراضي القشتالية بكميات غير متساوية، لكننا نجد في مناطق وسط حوض نهر دويرو ومنطقة لامنشا المعدلات كبيرة وكافية للزراعة فتتراوح ما بين 1000–1500ملم في السنة[43].

فالمناخ المتوسطي ووفرة المياه من الانهار والعيون اوجد مناطق جميلة وحدائق وزروع في مناطق بلد الوليد ومتنزهات شهيرة بحدائق جميلة[44]. ان البسيط المرتفع يسميه الاسبان فيرسيتا يشمل قشتالة الجديدة وقشتالة القديمة ومملكة ليون والاسترمادور، فيهما اودية عميقة ذات زروع ومواشي ويوجد على جنباتهما بسائط، فالوادي الجوفي يسقي بسائط في غاية الاتساع الى ان يصل الى بلد الوليد[45].

لا تختلف المحاصيل الزراعية في اراضي قشتالة عما كانت عليه المحاصيل التي تجود فيها اراضي حوض البحر المتوسط، لكنها تختلف بأختلاف اجواء البلاد، لكن في الاعم الاغلب هي نفس محاصيل حوض المتوسطي، فالقمح والشعير والأرز والبقول والفواكه والكروم والزيتون مع توافر المراعي للماشية[46].

فكانت هذه المحاصيل تزدهر بها اغلب الاراضي الأسبانية وعلى مر العصور، مما اكسبها قوة في مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية وبالتالي اصبحت قوة كبيرة في شمال اسبانيا يحسب لها حسابها.

ان العصور الوسطى وفي جميع البلدان كانت الزراعة عصب الأقتصاد، واراضي قشتالة كانت فيها مزارع وزروع، ففي نص تاريخي يبين ان المنصور الحاجب[47] عندما غزا مدينة سمورة واخذها بعد حصار من ملكها، انساح الجيش الاسلامي(الاندلسي) في البلاد واحرق المزارع المحيطة بمدينة سمورة، خوفا من ان يكون بها من العدو الفارين[48].

ومن الوسائل التي كانت مشجعة للزراعة الأهتمام بشق الجداول من الانهار الكبيرة لغرض الزراعة وانشاء البرك لجمع المياه، ولا سيما في المناطق التي ليست فيها انهار، فتلك البرك(المصانع) لجمع مياه الأمطار والأستفادة منها في زراعة المحاصيل والأشجار[49].

ثامناً: القصر

لعل من اساسيات الملك والدولة وجود القصر، او قصر للملك، فالقصر هو احد رموز الملك، واذا رجعنا الى تأسيس مملكة قشتالة ونسبتها الى القلاع ففي احيان القصر يعني القلعة للمنعة والسلطان، وما دامت قشتالة حديثة التكوين وهي عبارة عن مجموعة قلاع اتحدت في القرن العاشر الميلادي بزعامة اقوى امراء القلاع(فرنان جولثاث) وعرفت بـ Castilla،

فأن صخرة بلاي كوفادنجا اولى تلك القلاع التي جعل منها الأسبان فيما بعد رمزاً وموقعاً أثارياً لا يقل تقديساً عن بلاي الذي عدوه قديساً ومحجاً قومياً، فترتب على ذلك من الأثار والفوائد الملكية والقومية الشيء الكثير[50].

ان اول الاشارات التأريخية عن القصور القشتالية، القصر الملكي في طليطلة، نعم القصر الأسلامي للحاكم الأندلسي، ولكنه كان مزيجاً من التراث الشرقي والغربي حمل فنون العمارة الأسلامية المسيحية، فكان تحفة في الفن الهندسي والمعماري، فالقصر قيل عنه: تأنق في بنائه وانفق عليه اموالاً كثيرة، فأحضرت فيه الكثير من الالات للطرب والأنس فهو غاية في الرشاقة والترف، فمدينة طليطلة كانت مزدهرة نتيجة العلاقات الحضارية التي نشأت فيها، وعندما وقعت طليطلة بيد الاسبان " القشتاليين" كان القصر مقراً لحكمهم، فالفونسو السادس لما دخل الى المدينة حرص ان يحكم فيها نائباً مستعرباً ويكون على درجة عالية من التسامح مع اهلها، واراد اتباع الفونسو منه ان يتزي بملابس الملوك فرضي ذلك[51].

كانت مملكة قشتالة فيها مباني وقصور تأريخية شواهدها بقت وأثارها موجودة[52]، ومن مدن قشتالة مدينة ابلا (ابله) فيها اثر اندلسي القصر وهو عبارة عن حصن قديم[53]، وكانت قصور اهل الاندلس قبل سيطرة القشتاليين على نوعين كما يذكر الأثاريون شواهدها موجودة تدلل على تمازج الفن الاسلامي والفن البيزنطي[54].

ودلائل تزاوج الفن العربي الأسلامي مع الفن الأسباني قصر الملك بترو الملقب بالغاشم (Alcazar) فالملك بترو بنى قصره على الطراز العربي بأيدي بنائين من العرب، وغير قصر الملك بترو قصور اسبانية اخرى مبنية على الطراز العربي كقصر(الأنفانتادو) من منطقة وادي الحجارة، وقصر كازادل كردون(Casadei curdon) في مدينة برغش (برغس) عاصمة مملكة قشتالة الذي اشرف على بنائه المهندس العربي المسلم محمد من اهالي سقوبية (شقوبية) وتاريخ بناء هذا القصر يعود الى القرن الخامس عشر الميلادي، فقد انتقلت ملامح الفن العربي الأسلامي من اسبانيا الى دول اوربا كأيطاليا، فالمهندسون الأيطاليون نقلوا الفن المعماري وتأثروا به فملامح الفن الأسلامي طوروها من خلال الفن المعماري الأيطالي[55].

تاسعاً: اماكن العبادة ودورها التعبدي والعلمي:

ان اغلب المساجد والجوامع الأندلسية حولها القشتاليون الى كنائس، فجامع طليطلة حولوه الى كاتدرائية وصلى فيها الفونسو قداس الشكر، واضحت طليطلة عاصمة لمملكة قشتالة المسيحية[56] .

اولى الخطوات التي اتخذها الفونسو السادس في طليطلة عين الأسقف الفرنسي برنار كمبودي ساها جون رئيساً للكنيسة القشتالية، وجعل كنيسة طليطلة مركزاً للكنيسة القشتالية، وكان لزوجة الفونسو الملكة كونستانس الدور الفاعل في تحويل جامع طليطلة الى كنيسة، وبهذا خالفو العهد الذي قطعه الفونسو للمسلمين بعدم التعرض للجامع، وجاءت مبادرة البابا بمباركة نضيره برنار الفرنسي، في هذا المنصب، فأخذ بتعيين معظم الأسقفيات القشتاليين برجال دين فرنسيين[57] .

ان تحويل الجامع الى كنيسة كان بتأثير رجال الدين الفرنسيين المتعصبين فقد كانوا غلاة ولا سيما الرهبان، ولم يتحول الجامع الى كنيسة الا في اثناء غياب الفونسو عن المدينة، فرهبان دير ساهاجون صبغوا حرب الأندلس بصبغة الصراع الصليبي[58]، ومنذ ذلك الحين عرفت الكنيسة بـ "كنيسة سانتاكروز" (سانتا كروس Santa Croce) بناءها مربعة الشكل على نظام الكنائس البيزنطية لا يتجاوز طول الضلع ثمانية امتار، وجدرانها مبنية من حجر الجرانيت والأجر وفقا للأسلوب الذي اختصت به طليطلة، بعد ذلك وهب الفونسو الثامن الكنيسة لأحدى الجمعيات الدينية، وشكلها كان يتكون من ثلاثة اروقة طويلة تقطعها ثلاثة اروقة عريضة، مما يولد تسعة اساطين تفصل بينها اربعة اعمدة تيجانها على الطراز القوطي القديم[59] .

والكنيسة الأخرى في مملكة قشتالة هي كنيسة سانتا ماريا العظمىSana" "Maria والتي كان المسجد الجامع في قرطبة، فلما دخل فرناردو الثالث ملك قشتالة الى قرطبة حول الجامع الى كنيسة، واضيفت على الأصل اضافات بمرور الزمن شوهت المعلم التأريخي الأسلامي، فقد قام انريكي الثاني المصلى المعروف بسان فرنارد، الذي كبست جدرانه بزخارف من الطراز المدجن المحفور بالجص، وتشبه زخارفه زخارف قصر الحمراء وكذلك قصر اشبيلية، وجعلت فوق المصلى قبة قائمة على تشابك العقودالبارزة المكسوة بالمقرنصات الزخرفية الدقيقة، وعمل كاتدرائية قوطية الطراز في قلب المسجد الجامع[60].

ومن الكنائس الأخرى كنيسة سان سلفادور التي جاءت على انقاض جامع ابن عبدوس في اشبيلية، فالمأذنة والجزء العلوي حولوه الى طابق للنواقيس، بعدها تم هدم جميع المسجد وحول الى كنيسة[61]

ان القصر الملكي والمركز الديني من الأساسيات لنشوء اي مدينة فكلاهما كان مؤثرا في حياة المجتمعات، وفي قشتالة كلاهما متأثر بفن العمارة العربية الاسلامية، التي أصلا كانت مهجنة من حضارة اهل البلاد، فالعرب المسلمون، لم يمحوا اثار البلاد التي فتحوها لأن فيها جانب حضاري لكنهم اضافوا لها وطوروها، فكان الطراز المعماري في الاندلس عبارة عن امتزاج الفن المعماري الدمشقي مع الفن المعماري القوطي.

وكما كان المسجد معلما اسلامياً في كل مدينة كذلك لم تخلوا مدينة من دار عبادة للنصارى سواء كانت دير او كاتدرائية؛ ففي شقوبية كانت توجد كاتدرائية ضخمة[62]، وفي بلد الوليد كانت فيها كاتدرائية ذات اهمية، وفي مدينة آبلة كانت هناك كاتدرائية ضخمة، وكنيسة في برغش وهي اهم الكنائس واعظمها مع وجود دير ملكي، وهذا الدير تأثير الفن الإسلامي فيه واضح على مملكة قشتالة، استخدم القشتاليون الدير لدفن ملوكهم، وفي الدير نقوش عربية، وله اهمية كبيرة لدى النصارى؛ وفي مدينة شلمنقة "سلمنكه" توجد كاتدرائية وكنائس اقل اهمية، وفي مدينة ليون عدد من الكنائس الأخرى[63].

فمدينة طليطلة كما كانت مركزاً دينياً للنصارى، كانت من المراكز العلمية الهامة، ففيها كانت مدرسة للمترجمين مما اسبغ عليها مكانة مهمة، وبذل القشتاليون جهودا كبيرة لترجمة العلوم العربية، فميخائيل سكوت "Michael Scottus" كان احد علماء مدرسة طليطلة عمل على نقل مؤلفات ابن رشد الى اللاتينية، وتابعه القديس توما الأكويني، وبهذا الطريق عبر الفكر الإسلامي الى أوربا، وفي مدرسة طليطلة ترجمت العديد من كتب الطب والفلسفة والرياضيات وترجم القرآن الكريم وسيرة النبي محمدﷺ والفت المعاجم اللاتينية والعربية، فالنصارى ارادوا فهم اللغة العربية والتأريخ العربي الأسلامي، فالفونسو العاشر الملقب بالعالم وسع حركة الترجمة في طليطلة واستعان بالعديد من العلماء العرب المسلمين ومن المستعربين واليهود، واراد بذلك خلق نهضة علمية انتهت بالعديد من الترجمات التي وضعت تحت قالب لاتيني ومن ثم قشتالي[64].

نستنتج ان طليطلة استمرت كمركز علمي هام، وفد اليها طلاب العلم من اوربا، ونشطت الترجمة، فترجمت العديد من الكتب والمؤلفات العربية واليونانية، وكانت تلك الحركة بتشجيع من ملوك قشتالة، فالفونسو الخامس المشهور بالحكيم شجع الحركة العلمية، ولم تتوقف ظاهرة تحويل المساجد الأسلامية الى كنائس للنصارى، وبنيت كنائس جديدة وجاءت على تقليد للفن المعماري الأسباني الأندلسي، وظهر تقليدهم للعرب في نقش الكتابات على جدران المباني العامة وكتابة الخطوط ووضعها على الابواب[65].

ويلاحظ من اعمال ميخائيل سكوت ومن تبعه في هذا الأتجاه من علماء وملوك ان هنالك دافعاً ولا سيما دينياً، فأهتمامهم باللغة العربية وترجمة القرآن الكريم امر في غاية الأهمية، وبما ان الأسلام هو العدو الأول لهم، لذا ارادو اتقان العلوم الأسلامية وفهمها من اجل محاربة المسلمين فكريا اذا اخفقت لديهم القوة العسكرية.

عاشرا: القلاع والحصون والأسوار:

تعد القلاع والحصون من الأولويات لأمن اي دولة في ذلك العصر، فالدولة متى ما فرضت سيطرتها على مدينة ما كان اهتمامها ببناء قلاع وحصون مع الأهتمام ببناء الأسوار، فالقشتاليون لا يختلفون عمن سبقهم بل انهم منذ النشأة الأولى مهتمين بالقلاع، فأقاموا القلاع والحصون والأسوار في سائر مدنهم متأثرين بالتقاليد الرومانية، وبمن سبقهم من العرب المسلمين، فورثوا كل ذلك عنهم(66).

كانت القلاع والحصون كثيرة في ذلك الوقت ومنها ما كان لأغراض العمارة الحربية ولا سيما اقامة الأبراج والحصون بنواحي البلاد المختلفة في الشمال على على المرتفعات المطلة على الطرق الموصلة بين المدن، فحصن بانينوس دي انثينا زود ببرج وكان في مجريط برج وكذلك حصن غرماج (Gormaz) الذي بني على ارتفاع نحو 130م فوق وادي دويرو، ومضافاً لكل ذلك ان ملوك ليون احاطوا مملكتهم بالقلاع والحصون لحماية انفسهم من هجمات المسلمين حتى عرفت مملكتهم بـ Castellas اي القلاع(67).

فمملكة قشتالة من تراثها اخذت اسمها والأقليم عرف بالقلاع لكثرة القلاع والحصون والمباني التي اغلبها لأغراض حربية، وكاستيلا لامانشا مدينة تاريخية ومحصنة، وكوينكا مدينة محصنة لها صلة وثيقة بالتراث. وفي مدينة شقوبية توجد قلعة تقع على مرتفع وفوق منحدر صخري وعلى هاوية، يعتقد ان القلعة كانت قصر اندلسي اتخذه الأسبان قلعة حربية، واذا ما دققنا في الموقع على منحدر صخري لربما يرجع بنائه الى القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، ومن الحصون الأخرى حصن شنت منكش "Simancas" وكذلك حصن مدينة آبلة الذي يعتقد انه قصر(68)، جميع هذه الحصون تدلل على الشواهد الأثرية الباقية في اسبانيا وان اغلبها للأغراض الحربية لطبيعة المنطقة وطبيعة العصر الذي انشأت فيه تلك القلاع والحصون.

اما الأسوار فلابد لكل مدينة من سور يحميها وخندق يبعد عنها الأعداء لتجنب اقتحامها، ووجدت اشارات تدلل على ذلك، فمدينة آبلة كانت محاطة بسور من الطراز الروماني وهو سور رائع وجميل، وكان عليها سور قبل دخول العرب المسلمين الى البلاد ولكنهم اضافوا فيه زيادات بحسب حاجة المدينة وتوسعها، ومن المدن الأخرى التي احاطوها بالأسوار مدينة برغش هذه المدينة التي انشأها الملك القشتالي الفونسو السادس سنة 910م، لما أنشأ المدينة احاطها بسور عظيم ليأمن على سكانها ويحميهم من هجمات العرب المسلمين(69).

أحد عشر: الحمامات

لم تزودنا الكتب التاريخية المتوافرة لدينا بالمعلومات الوافية عن الحمامات في مملكة قشتالة، ولكن الأشارات التأريخية عن الحمامات في المدن الأسلامية نستدل منها على وجود الحمامات في مملكة قشتالة لعامة الناس دون الملوك ورجال الدين من الراهبات والرهبان الذين كانوا ينهون عن النظافة ويعدونها من عمل الوثنيين والشواهد كثيرة على ذلك.

وفي الأعم الأغلب ان أمراء المسلمين عند بناءهم للمدن يكون من ضمن جوانب الخدمة بناء حمامات وفنادق في المدينة وارباضها، حتى ان يوسف بن تاشفين عندما دخل مدينة فاس هدم الأسوار التي تفصل عدوة القرويين عن عدوة الأندلس وصيرهما مصراً واحداً، وأمر ببناء الحمامات والفنادق، ورتب الأسواق، وهذا أمر بديهي أستمر حتى عهد المرينيين وحصارهم لتلمسان التي بأزائها المنصورة واتخذوا فيها الحمامات. مما يدلل على ان وجود الحمامات من الضروريات لكل مدينة انشأها المسلمون[70].

وهناك آثار حمامين في قرطبة، حمام في شارع الحمام Calle Del Bano والأخر في شارع لاسى كوميدياس Comedias، وهو على صفة قاعة طويلة وسط بناية وعقود مفرطحة واخرى متجاوزة على شكل حذوة الفرس تحملها عشرة اعمدة فوقها تيجان، وكانت تعلو هذه العقود قبوة، وقاعة الحمام صحن مكشوف للهواء وكذلك غرفة تعلوها قبة تتخللها مناور لإنفاذ الضوء[71].

ويذكر عنان[72]عن المنصور بن ابي عامر عندما سار الى غزو مملكة قشتالة عام (366هـ/977م) وسار بقواته نحو حصن الحامة وحاصره نزل على الحمامات في منطقة تقع جنوب بلدة بخار فأستولى على الحصن وربضه[73].

ومن الشواهد على وجود الحمامات في اسبانيا ما تعرض له الموريسكيين من اضطهاد في بلنسية وغرناطة، ففي عام 1526م صدرت الاوامر والقوانين المرهقة بحقهم وكان من ضمنها اجبارهم على التنصير وأن يترك الموريسكيون استعمال لغتهم العربية وثيابهم القومية، وأن يتركوا استعمال الحمامات ولا يسمح لهم بالأستحمام، وان تهدم سائر الحمامات العامة والخاصة، وبالفعل هدمت جميع الحمامات تباعاً، والقصد من ذلك هو لإجبار المسلمين في الاندلس عن التخلي عن كل مقومات شخصيتهم بما فيها تأريخهم وعاداتهم[74].

هذا الأستطراد البسيط بين شكل الحمام في الأندلس خاصه، واسبانيا بصورة عامة، فلا بد ان يكون الأسبان قد تأثروا بهذا الشكل البسيط كما كان تأثرهم بالقصور واماكن العبادة، فالعرب المسلمون لما دخلوا البلاد تأثروا بالحمامات الرومانية، وممالك اسبانيا تحوي مياه غزيرة، واقليم قشتالة يتميز بأتساعه الجغرافي مع تنوع بالمناظر والطبيعة، وربما ان الأسبان استخدموها للاستحمام على ضفاف تلك الأنهار، ففيها سواحل جميلة استعملها الاسبان في الوقت الحالي مناطق استحمام وكانت مناطق كثيرة وهي: ليون، سلامانكا، سوريا وبلد الوليد وغيرها الكثير' ان عدم ذكر الحمامات في قشتالة لا يعني عدم اهتمامها بفن وطراز البناء للحمامات الاسلامية، فوجود المناطق الطبيعية المذهلة للأستحمام في الوقت الحالي من فضاءات مكشوفة كذلك لا يعني عدم وجود حمامات، لكن الكتب لم تزودنا بأشارات عن كل ذلك، واقول لابد من وجودها فما دام العرب المسلمون تأثروا بالأسلوب الروماني، فلابد من ان القشتاليين تأثروا بما خلفه العرب من المظاهر الحضارية.

الخاتمة

هذه الدراسة احدى الممالك الأسبانية المهمة، والتي تعد من اهم الممالك الأسبانية بما قدمته من تضحيات في سبيل مواصلة الصراع ضد العرب المسلمين، وقادت شعبها الى تكوين مملكة تتوافر لها مقومات الدول في البقاء والأستمرار، ولذا وقفت الدراسة على بعض النتائج التي توصلنا لها من خلال البحث ومنها:

ـ اوضحت الدراسة ان تسمية قشتالة مشتق من الحصون، فهي تعني القلاع، مما يدلل على ان نشأتها الأولى مدينة حربية، وهذه الصفة غلبت عليها، وضربت في اعماق التاريخ.

ـ اثبتت الدراسة ان من اهم مقومات الدول واستمرارها توافر المياه والأراضي الزراعية، فقشتالة توافرت لها مصادر المياه العديدة، فالأنهارالكثيرة وتساقط الأمطار والبيئة اوجدت الأراضي الزراعية التي انتجت المحاصيل المتعددة، وهذان الأمران من العوامل المساعدة على استمرار الدول.

ـ من الرموز الدالة على الملك واستمراره القصر، فالقصر رمز السلطة وبيان قوتها وازدهارها، فكان ملوك قشتالة مهتمين ببناء القصور والتي اطلقوا عليها في بعض الاحيان الحصون لحصانتها ومتانة بنائها، وهناك اثار باقية تدلل على ذلك .

ـ اوضحت الدراسة اهتمام ملوك قشتالة بأماكن العبادة، فالكنيسة الرمز الثاني الدال على قوة الملك، فقد بنى ملوك قشتالة الكنائس الكبيرة، وكانت في جميع مدنهم ولها وظيفة تعبدية ووظيفة علمية وخير دليل على ذلك كاتدرائية طليطلة .

ـ ومن اهتمامات ملوك قشتالة بناء الحصون والقلاع واحاطتها مع المدن بالأسوار وبناء الجسور والقناطر .

ـ كشفت الدراسة ان المظاهر الحضارية التي وجدت في قشتالة من قصور وحمامات ودور عبادة وقناطر وما شابه ذلك ما هي إلا نتيجة لتأثر القشتاليين الإسبان بالفن والعمارة العربية الإسلامية في الأعم الأغلب، وما ذلك الأ دليل على عظمة وقوة الحضارة العربية الإسلامية، وعلى العموم فالحضارات تؤثر وتتأثر بعضها ببعض وهذا ما يطلق عليه او ما يسمى بـ "التلاقح الحضاري" .

وفي الختام كانت دراسة مملكة قشتالة قد بينت تمازج المدينة الحربية مع المدنية مع تمازج المقومات التي ادت الى استمرارها من توافر المقومات الأمنية مع المقومات الاقتصادية، وهذان الأمران احدهما مكمل للأخر .

الهوامش والمصادر

(1) ليون: قاعدة من قواعد قشتالة، وهي مدينة عامرة، رجالها اشداء، ذو همة ، لهم معرفة بالمعاملات والتجارات . ينظر: الادريسي،محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي(ت: 560هـ)، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، 1409هـ، ج2، ص731؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: 900هـ)، صفة جزيرة الاندلس، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، 1988م، ص174.

(2) السامرائي: خليل ابراهيم واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000م، ص 139.

3 Grau eneiclopedia foc us, argos Vergara, cara cas, chile, 1987, Barcelona, pags. 893 – 896

(4) ول، ويليام جيمس، قصة الحضارة، تحقيق: محيي الدين صابر واخرون، دار الجيل، بيروت، 1988م، ج4، ص224.

(5) الصوفي، خالد، تاريخ العرب في اسبانيا عصر المنصور الاندلسي، دار الكتاب العربي، د.ت، ص113.

(6) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ)، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، ج4، ص352.

(7) العبادي: احمد مختار، في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص72؛ أبو عُبيَّة، طه عبد المقصود عبد الحميد، موجز عن الفتوحات الاسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة، د.ت، ص102.

(8) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1997م، ج3، ص17، ج4، ص350.

(9) عنان: عنان: محمد عبد الله المصري (ت: 1406هـ)، دولة الإسلام في الأندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997 م ، ج1، ص83، 213، 216.

(10) ارسلان، شكيب، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص221–222.

(11) ارسلان، الحلل السندسية، ص222.

(12) ارسلان، الحلل السندسية، ص221.

(13) الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ابخاريا، اسوج، د.ت، ج1، ص310.

(14) Grau Eneiclopedia focus, p. 893-896 .

(15) الادريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص733؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص350.

Diceionario encictopedico, Espasa, Espana, 1999, p.335-339. (16)ilus Trado, Espasa Nuevo 16-

17 Joaquin Bosaue Mauler, Geografia desspana و Planeta, Barcelona,199 0,255-277 .

(18) الحميري، الروض المعطار، ص88.

19 - Joaquin Bosaue Mauler, p. 255-277 .

(20) الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص731؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص98.

21- Jou quin Bosaue Mauler , p.255-277 .

(22) الادريسي: نزهة المشتاق، ج2، 731.

23- Jo uquin Bosaue Mauler, p . 255-277 .

24- Jo uquin Bosaue Maul er, p. 255-277 .

(25) الصوفي، تاريخ العرب في اسبانيا، ص120.

(26) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص366؛ الصوفي، تاريخ العرب في اسبانيا، ص123–130.

(27) العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص196.

(28)عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص484؛ السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ص140.

(29) الفونسو السادس: ابن الفونسو الخامس تولى حكم قشتالة سنة 465هـ، يتصف بالذكاء والفطنة اذ استطاع ان يضرب الدول الأسلامية بعضها ببعض حتى استولى على مدينة طليطلة اعظم مدن الأندلس سنة 478هـ من يد صاحبها يحيى بن ذي النون، واجبر المسلمين على دفع الجزية الذي جهز بها جيش كبير واحتل المدن الأسلامية الواحدة تلو الأخرى. ينظر: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: 658هـ)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج2، ص98؛ الحميري، الروض المعطار، ص 395؛ خطاب، محمود شيت، قادة فتح الأندلس، ط1، مؤسسة علوم القرآن، منار للنشر والتوزيع، 2003م، ص92، ص125-126.

(30) الموسوعة الحرة، مملكة قشتالة، دون ترقيم.

(31) الطيبي، امين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس، الدار العربية للكتاب، د.ت، ص156.

(32) الباسك Basques وتسميهم المصادر العربية البشكنس ، جماعات وثنية تعيش في منطقة شمال شرق جبال ألبرت، وقد فشل ملوك القوط في إخضاعهم لحكمهم وزعزعتهم عن الوثنية، ولا يعرف لحد الآن الأصل الحقيقي لهم، ولكنهم ربما كانوا من بقايا القبائل التي سكنت منطقة جبال ألبرت في عصور ما قبل التاريخ، وقد زعم البشكنس انهم اقدم امة في اوربا . ينظر: خطاب، محمود شيت(ت: 1419م)، قادة فتح الاندلس، ط1، مؤسسة علوم القرآن، منار للنشر والتوزيع، 2003 م، ج1، ص99؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص17.

(33) الكتاني، انبعاث الاسلام في الاندلس، ص303؛ الموسوعة الحرة، مملكة قشتالة، دون ترقيم.

(34) الطيبي، دراسات وبحوث، ص158.

(35) حلاق، حسان، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الدار الجامعية، 1986م، ص95. Grau Eneiclopedia focus, p. 893-896

(36) دولة الاسلام، ج2، ص396.

37 Grau Eneiclopedia salav,tono3,Buro coqui, selvat Editores s.A. Barcelona, 1979.p. 700-708.

(39) هيكل، احمد، الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الاندلس، دار المعارف، ط7، مصر، د.ت، ص18-19.

39 Nuevo Espasa ilustrado.p. 335-339 .

(41) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، د.ت، ص 414-417.

(42) هيكل، الأدب الاندلسي، ص18-20.

43 Trebol Diccionario Enciclopedico, Ediciones Trebol. Barcelona, 1996,p.191-195

44 Joaquin Bosaue Mau ler . p. 255-277

(45) ارسلان، الحلل السندسية، ص221، والهامش رقم (1).

(46) هيكل، الأدب الأندلسي، ص21.

(47) المنصور الحاجب: هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد، أبو عامر القحطاني المعافري نسبة الى المعافر وهي بطن من قحطان – الاندلسي، كان حازما شجاعا، عالما فاضلا، طلب العلوم في صباه، غزا وافتتح فتوحا كثيرة، وبقي في المملكة نيفا وعشرين سنة. توفي سنة 393 هـ. ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج8، ص731؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط، ط1، بيروت، 1986 م، ج4، ص499.

(48) الصوفي، تاريخ العرب في اسبانيا، ص122.

(49) ارسلان، الحلل السندسية، ص223.

(50) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص74، ص222.

(51) حلاق، العلاقات الحضارية، ص93–95.

52- Gran eneiclopedia saluat, p. 700-708 .

53- Joaquin Bosque Mau ler . p. 255-277

(54) سالم، تاريخ المسلمين، ص405–411.

(55) حلاق، العلاتقات الحضارية، ص98.

(56) الموسوعة الحرة، مملكة قشتالة، دون ترقيم.

57 ا بن بسام: أبو الحسن علي الجزري (ت: 542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط1،الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1978م، ج3، ص349؛ عنان: دولة الاسلام، ج2، ص397؛ Culture l0 l 4: 827 l Hiyzz, vnedfj2y.

– Http:ll www. Alukah.net l

58 الطيبي، دراسات وبحوث، ص158.

59 سالم، تاريخ المسلمين، ص403–404.

60سالم، تاريخ المسلمين، ص398–400.

(61) سالم، تاريخ المسلمين، ص402.

62 Nuevo Espasa ilustrado.p. 335-339

63 Joaquin Bosaue Mau ler . p. 255-277

(64) حلاق، العلاقات الحضارية، ص97؛ السامرائي واخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص480.

(65) حلاق، العلاقات الحضارية، ص97 –98.

(66) سالم، تاريخ المسلمين، ص412–414.

(67) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص73.

68 Gran eneiclopedia saluat, p. 700-708 .

69 Joaquin Bosque Mau ler . p. 255-277 .

(70) السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي(1315هـ)، : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت، ج1، ص231، ج2، ص29، ج3، ص80؛ بول، استانلي لين، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارمبك، القاهرة، 2012م، ص94.

(71) سالم، تاريخ المسلمين، ص417.

(72) عنان، دولة الأسلام، ج1، ص527 .

(73) عنان، دولة الاسلام، ج1، ص527 .

(74) عنان، دولة الاسلام، ج5، ص354؛ ج5، ص378؛ الكتاني، انبعاث الأسلام، ج1، ص24، ص76.